

إن هذا التفكير الملح في ما ضينا، له أثر يجب أن نحذره وألا ندعه يفسد علينا حاضرا، فهو ليس تفكيراً حافزاً باعثاً منشطاً في كل حال كما ألفنا أن نصفه في أحاديثنا وخطبنا وما نكتبه عن الذكريات التاريخية، والمناسبات القومية، وإنما هو في واقع أمره دواء منوم مخدر يخدعنا عن أنفسنا إذا تعاطيناه بإفراط، واسترحنا إلى ما يحدثه من "تسكين" وقتي لآلامنا، وارضاء وهمي لخيلائنا.

إن الذين يعيشون على الماضي فحسب هم العجزة وأهل الضعف والقصور، إنهم لا يجدون في حاضريهم ما يبررون به استحقاقهم للبقاء في الحياة، والانتساب إلى البشرية العاملة المثمرة التي ما خلقت إلا للإصلاح والتعمير، والابتكار والتميز، فهم يجتروُن مفاخر من الماضي فعلها آباؤهم وأجدادهم، ولو أنهم كانوا هم الذين فعلوها لما كان لهم أن يظلوا متعلقين بها، حرصاء على ذكرها والاصغاء إلى حديثها، كما يصغي الشيخ الهرم إلى ذكريات شبابه، ويسبح في خيال فتوته يوم كان وكان.

إن الإسلام لا يرضي بهذا للمسلمين، فهو لم يرضه لاهل الكتاب الذين كانوا يتباهون بتاريخهم، ويلوكون بألسنتهم مفاخر السابقين من الانبياء والمرسلين، ويحاولون أن ينتسبوا إليهم بالاقوال لا بالافعال، إذ يقول القرآن الكريم: "تلك أمة قد خلت، لها ما كسبت ولكم ما كسبتم، ولا تسألون عما كانوا يعملون" فالشأن في الكتاب الحق الذي يهدي للتي هي أقوم، إنما هو لعمل العامل، وكسب الكاسب، أما التشدق بما كان، والتشبث بما خلا، والغيبوبة فيما غاب، فتلك تعلات الضعفاء، ومعاذير العاجزين، وأساليب الفارين الناكسين.

* * *

والنقطة الثانية ذات صلة وثيقة بهذه النقطة الأولى، فلا ينبغي أن يفوتنا أن العلم في تطور، وأن الفكر الانساني في تحول، وأن العالم كل يوم في استقبال جديد من النظريات والعمليات والمذاهب العقلية والاجتماعية، فما كان يشغل